من قضايا اللغة :

نون الوقاية

بين كونها حرفاً مفرداً أو جزءاً من ضمير

للدكتور أحمد كشك

جامعة القاهرة

يرى النحاة ان نون الوقاية حرف يأتى لصيقا لياء المتكلم عند اتصالها بالافعال وبعض الحروف وندرة من الاسماء . وهم يرون دخولها على الافعال من قبيل اللازم حين تتصل هذه الافعال بياء المتكلم فى قولك فى الماضى (ضربني) والمضارع (يضربني) والامر (اضربني). واذا سألت النحاة عن وظيفة هذه النون قالوا انها حرف يؤتى به لوقاية هذه الافعال من الكسر عند اتصال هذه الافعال بياء المتكلم ، ومعنى ذلك امران : ان هذه النون حرف مفرد لامحل له اعرابيا ، وان وظيفتها وقاية الافعال من الكسر ، فهل فى هذا التحديد دليل صحة وصواب ؟

فى المناقشة التالية لافكار النحاة تحديد لهذا القول. ويبدأ حديثنا حول الوظيفة التى تقوم بها هذه النون. فهل حقيقة ان هذه النون جاءت لتقى الافعال من الكسر؟ يقتضينا الجواب أن نناقش الحاجة الماسة الى درء كسر الافعال وهنا يلزم ان نقول:ما المراد بالكسر الذى تعنيه هذه النون لهذه الافعال ، هل المقصود به الكسر باعتباره ظاهرة صوتية لا يقبلها الفعل ؟ أو المقصود بالكسر باعتباره علامة اعرابية ؟ واذا كان المقصود هو الاعتبار الصوتى فلماذا بقى درء الكسر صوتيا قرين مجموعة من الافعال دون الافعال الاخرى ؟ اى درء الكسر فى قولك تضربين وتكتبين عند اسناد الفعل المضارع لياء المخاطبة . وكذلك فعل الامر عند اسناده لهذه الياء كما فى قولك « اضربى الولد » . أين درء الكسر حين يأتى آخر الفعل مكسورا تخلصا من التقاء الساكنين كما فى قولك « قم الليل » و « ذاكر الدرس » ؟ لقد جيء به هنا لحل مشكلة لغوية هى التقاء الساكنين فكيف يكون حلا فى مكان ومكروها فى مكان آخر !

ان استحالة قبول الافعال للكسر من الناحية الصوتية امر لااساس له ومن ثم فالافعال تقبله صوتيا ، وعلى هذا فلا وظيفة للنون من جهة درء الكسر الصوتى واذا كان هذا الدرء الصوتى غير مقبول فان درء الكسر باعتباره علامة اعرابية لا وجود له بداهة لان الجر اى الكسر فى الافعال أمر مستحيل فالجر ليس من قبيل الافعال وانما هو من قبيل الاسماء ومن ثم تنتفى وظيفة درء كسر الفعل صوتيا واعرابيا حيث لا حاجة الى هذه الوظيفة .

واذا كانت وظيفة النون كما افترض النحاة هى وقاية الافعال من الكسر ، فما الذى وقته عند دخولها على الادوات الناسخة او بعض حروف الجر او بعض الاسماء كما فى قولك (انني) (مني) (لدني) !

يسقط اذن اعتبار ان النون واقية الفعل من الكسر . وهنا نحس انه اذا كان للوقاية دور فان الاسلم لدى النحاة اعتبار ان هذه النون حين تقى فان دورها ليس وقاية الفعل من الكسر وانما وقاية الضمير من اللبس ، فالياء واحدة صوتيا فى قولك اضربني وقولك اضربي يا فاطمة ، فغاية الامر ان وظيفة الياء الاولى انها للمتكلم ووظيفة الثانية انها للمخاطب والذى جعل الاولى للمتكلم لا للمخاطب وجود النون ومن ثم فقد ابعدت التشابه واللبس الحاصل بين ياء المخاطب وياء المتكلم ، فحين تكون الياء مع النون تكون ضمير متكلم وحين تكون وحدها تكون ضمير خطاب .

ومعنى ذلك أن النون قد وقت الضمير من اللبس . هذا هو الاقرب الى الصواب غير اننا نبتعد بالتضية اكثر من ذلك ، يظهر ذلك حين حديثنا عن الاعتبار الثانى للنون أهى حرف مفرد أو لا ؟

ورأيى أن هذه النون ليست حرفا مستقلا بذاته وانما هى جزء من كلمة كاملة هى (نى)،و (نى) هذه صورة لضمير المتكلم حالة اتصاله ، فكلمة ضربني تتكون من كلمتين الفعل (ضرب) والضمير «ني» المفعول وليست مكونة كما تصور النحاة من ضرب + النون + الياء (المفعول) ولكن كيف يستقيم لنا بناء هذا الفرض وتاكيده ؟

ان جعل الضمير المنفصل (انا) حالة الاتصال الى (نى) أمر مقبول فقد صار الضمير المنفصل «هو» الدال على الغائب حالة الوصل الى هاء لان متطلبات الوصل تخالف متطلبات الفصل وذلك حادث فى استحالة الضمير المنفصل (أنا) الى « نى » وبخاصة ان ضمير المتكلمين « نحن »المنفصل استحال الى (نا) فى الاتصال ، وربما كان اساس الخلاف بين الضميرين فى الوصل على اساس الشكل صورة للتفريق بين الجمع حين يأتى متكلما والمفرد حين يأتى كذلك فالتحويل تم على اساس ان «انا» تحولت الى «نى ــ ى» وأخذت «نى» مسارها مع الافعال وأخذت الياء مسارها مع الاسماء حين الاتصال حيث لم نجد اختلاطا فى الضمير المتصل مع الاسم مخاطبا كان او متكلما ، لان المتكلم اصبح ياء والمخاطب اصبح كافا فى (كتابك) .

فهل من اثبات لذلك الاحساس ؟ لقد آنسنا سيبويه بقول يعتبر فيه أن الضمير (نى) كله اسم حين قال فى باب ما يحذف من الياءات عند الوقف ، « واعلم تريد اسقانى واسقنى لان (نى) اسم وقد قرأ ابو عمرو فيقول ربى أكرمن » اليس قوله بأن « نــى » اسم احساسا منه بأن النون جزء من الكلمة وليست حرفا مستقلا بذاته ؟أو ليس حذف الياء هنا من قوله « أكرمن» وابقاء النون جزءا من المحذوف دليلا على الاقتصار فى الدلالة على حذف الكلمة بابقاء جزء منها وفى ذلك شعور بأن الكلمة مكونة من حرفين هما (نى) . ان كلمة (نى) فى اللغة العبرية تعتبر ضمير نصب للمفعولية فقد جاءت كلمة ([S]) (نى) لاصقة للدلالة على المفعولية كما فى العربية تماما .

لعل فى كل هذه الاحتمالات ومايؤكدها من حديث سيبويه وما هو وارد فى اللغة العبرية ما يؤكد قولنا بأن «نى» ضمير للمتكلم حالة الاتصال يشترك مع قرينه الآخر وهو «الياء» حيث (نى) لصيق الافعال والياء لصيق الاسماء ، ومن ثم فان وسم النون بأنها حرف مفرد للوقاية أمر يجانب فى رأيي جادة الصواب .

ثالثـــا دراسات متنوعـــة :

12 ــ تكوين الفكر العربى قبل الاسلام	د . رشـاد محمد خليل	107
13 ــ تحقيق أرجوزة السملالى فى الحساب	الاستاذ بديع الحمصى	121
14 ــ المراكز الحالية والمقبلة لانتشار العربية	تلخيص : الاستاذ محمـــد أفسحى	124
15 ــ اللغـــة العـــربيـــة فى الهنـــد	د . معين الدين الاعظمى	140
16 ــ الاكاديمية الملكية المغربيـــة		144